



حيثما تعرض المسلمين إلى الظلم والاضطهاد في أرضٍ، فقد شرع الله لهم أن يهاجروا: (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا: فِيمَا كُنْتُمْ؛ قَالُوا: كُنْتُمْ مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ. قَالُوا: أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهاجِرُوا فِيهَا؟!..). {سورة النساء: 97}.

ووعد الله من هاجر في سبيله أن يجد أرضاً يراغم فيها عدوه، ويحاربه بطريقة من الطرق، بل يجد كذلك سعنة في الحركة، وربما سعة في المال كذلك: (وَمَنْ يَهاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مَراغِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً). {سورة النساء: 100}.

ومع أن الهجرة النبوية كانت في ربيع الأول فإن المسلمين يتذكرون هذا الحدث العظيم في مطلع كل سنة قمرية، حيث إن عبقرى هذه الأمة، عمر بن الخطاب، جعل بداية التاريخ هو هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، فصارت بداية كل عام تذكر بالهجرة.

انظروا معـي إلى فـقهـ أبي القـاسمـ عبدـ الرـحـمنـ السـهـيـليـ، صـاحـبـ كـتابـ "الـرـوـضـ الـأـنـفـ فـيـ شـرـحـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ" عـنـدـمـاـ تـأـمـلـ قولـ اللهـ تعـالـىـ: (لـمـسـجـدـ أـسـسـ عـلـىـ التـقـوىـ مـنـ أـوـلـ يـوـمـ). {سـورـةـ التـوـبـةـ: 108}.

قال: قد عُلم أن يوم بناء المسجد ليس أول يوم من أيام الدنيا، وليس لفظ "يوم" مضافاً إلى أي شيء في اللفظ، فالظاهر من هذه الآية صحة ما اتفق عليه الصحابة، مع عمر رضي الله عنه، حين شاورهم في اليوم الذي يجعلونه بداية للتاريخ، فاستقرّ رأيهم على أن يكون التاريخ من عام الهجرة، لأنّ الوقت الذي عزّ فيه الإسلام.

وقد كانت الهجرة النبوية نصراً. كيف؟ ألم يسمّها ربنا نصراً حين قال: **(إلا تنتصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا، ثاني اثنين، إذ هما في الغار...)**? {سورة التوبه: 40}.

نعم، إنها نصر وأي نصر؟ إنها بدء قيام دولة الإسلام.

ولقد هاجر الملايين من أبناء سوريا اليوم. هاجروا بدينهم. منهم من هاجر من بلدة إلى أخرى داخل سوريا، ومنهم من هاجر إلى دول الجوار، ومنهم من هاجر إلى بلاد بعيدة... تاركين وراءهم البيوت والأموال. وما أحرام أن يستشعروا بذلك القدوة بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وأن يتخلقاً بأخلاق المهاجرين الأوائل، ليسعدوا بنصرٍ كالذي سعد به أولئك المهاجرون.

وإنّ أول ما يتبارد إلى الذهن من سمات المهاجرين وأخلاقهم هو ما وصفهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقال: **"المهاجر من هجر ما نهى الله ورسوله عنه"**. رواه أحمد والبخاري وأبو داود وابن ماجه.

وتحفل السيرة النبوية بأخلاق المهاجرين ومواففهم الرائعة، فإنهم هاجروا (ينصرون الله ورسوله). {سورة الحشر: 8}. وهاجروا إلى الله ورسوله: **"فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"**. ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه". رواه البخاري ومسلم.

ويكفي أن نتذكر موقف صحيب بن سنان الرومي رضي الله عنه، حين تعرض له المشركون، وهو يريد الهجرة، فتخلّى لهم عن ماله كلّه، على أن يخلّوا بينه وبين هجرته... وبشره النبي صلى الله عليه وسلم بأن صفتَه هذه كانت راححة: **"ربح البيع أبا يحيى. ربح البيع أبا يحيى"**.

ونزل فيه قول الله تبارك وتعالى: **(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله. والله رؤوف بالعباد)**. {سورة البقرة: 207}.

والاليوم، وبعد أن صبر المسلمين في سوريا، تحت حكم الطغاة نصف قرن، ثم ثاروا على الظلم، حققوا انتصارات شتى، من ناحية، وتعرضوا كذلك للسجن والقتل والدمار وهجرة الأوطان، ألم يأن لهم أن ينالوا جزاء صبرهم، ويقطفوا ثمرات جهادهم؟!. إن ذلك مضمون لهم إذا علم الله منهم الإخلاص له، والتخلق بأخلاق دينه من تجرد وتضحيه وصدق ووفاء.

لقد علّمنا كتاب الله تعالى أن المحن طريق للمؤمنين لا بد أن يسلكوه: **(ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا: آمنا، وهم لا يُفتنون؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم، فليعلمن الله الذين صدقوا ولیعلمن الكاذبين)**. {سورة الروم: 3-195}.

فهل أعددنا أنفسنا لنكون من الصادقين، ونكون أهلاً لما وعد الله عباده الصابرين والمهاجرين:

(فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم، وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنَّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنَّهم جنات تجري من تحتها الأنهر ثواباً من عند الله. والله عنده حسن الثواب). {سورة آل عمران: 195}

